

استراتيجية تدريس علوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا: دراسة في التنظير والإجراء والمآل

Strategy for Teaching Arabic Language Sciences in Light of the COVID-19 Pandemic: A Study in Theory, Practice, and Outcomes

محمد غالم^{1*} ، عمر بوشنة²

¹ جامعة تامنغست (الجزائر)، مخبر الممارسات اللغوية والأدبية بالمناطق الصحراوية الجزائرية وامتداداتها

بالساحل الافريقي، ghalem.mohamed@univ-tam.dz

(<https://orcid.org/0000-0001-6290-2198>)

² جامعة تامنغست (الجزائر)، مخبر الممارسات اللغوية والأدبية بالمناطق الصحراوية الجزائرية وامتداداتها

بالساحل الافريقي، bouchena.omar@univ-tam.dz

(<https://orcid.org/0009-0008-8405-6509>)

تاريخ القبول: 2024/12/04

تاريخ الإستلام: 2024/11/09

ملخص:

لقد كان لظهور وباء كورونا أثر كبير في تغيير الكثير من المعطيات على جميع الأصعدة، لا سيما ما تعلق بالمجال العلمي والتعليم، فكان لا بد من وجود طريقة أو إستراتيجية لاحتواء الوضع، حتى لا تستلم البشرية للجهل، فانتهجت الجامعات نمط التعليم عن بعد، ليكون بديلا عن التعليم الحضوري، وبعد زوال الجائحة ترك هذا النمط من التعليم أثارا على التعليم سواء كانت إيجابية أم سلبية. ولعلّ حقل علوم اللغة العربية أحد الحقول المعرفية التي كان محلّ تجربة لهذا النمط، ونظرا لما تحمله اللغة العربية من خصوصية في التعليم، جاءت هذه الورقة البحثية لتقف على الإستراتيجية التي كانت تدرّس بها هذه العلوم، ومحاولة تقييمها وبيان النتائج المنبثقة عنها بعد زوال الجائحة.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بُعد؛ جائحة كورونا؛ تدريس اللغة العربية؛ استراتيجية التعليم؛ تطوير المهارات.

Abstract:

The emergence of the COVID-19 pandemic had a significant impact on altering many aspects across various domains, particularly in the scientific and educational fields. It became necessary to devise a method or strategy to manage the situation and prevent humanity from succumbing to ignorance. As a result, universities adopted the model of distance learning as an alternative to in-person education. After the pandemic subsided, this mode of learning left its mark on education, whether positive or negative. The field of Arabic language studies, with its unique characteristics in education, became one of the knowledge areas subjected to this experiment. This research paper aims to explore the strategy used to teach these subjects, evaluate its effectiveness, and examine the outcomes that emerged after the pandemic's resolution.

Keywords: Distance learning; COVID-19 pandemic; Arabic language teaching; Teaching strategy; Skill development.

* المؤلف المرسل: ghalem.mohamed@univ-tam.dz

1. مقدمة

إنّ اللغة العربيّة مثلها مثل بقيّة العلوم التي تضطلع بمنهج خاصّ في تدريسها واكتساب مهارتها، من خلال إتقان علومها وحذقها، ولذلك سلك علماؤها المتقدّمون كل سبيل تيسّر على المتعلّمين إتقانها، وتحبب إلى نفوسهم مدارسها، إلى أن ارتقى بها الوضع في عصرنا الحديث إلى سنّ نظريات قائمة بذاتها، ووضع مناهج ومقررات دراسية تخص جميع الفئات المستهدفة لها، من الطور الابتدائي إلى المتوسط والثانوي وصولاً إلى التعليم الجامعي.

غير أن هذه التخطيطات والأسس المنهجية سرعان ما تزعزع ركنها أمام طارئ الوباء، الذي عرف بجائحة كورونا، ففرض على الخبراء في مجال التعليم عامة والجامعي على وجه الخصوص مساهمة خصوصية الحدث، بما يضمن سدّ الخلل بأقل الأضرار، ولضمان مستقبل المتعلّمين المهتد بالضياع وفق إستراتيجية محدّدة لذلك. ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول تقييم الإستراتيجية المتوخاة في التعليم العالي، ولا سيما في مجال تعليم علوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا وما بعدها، انطلاقاً من التنظيرات الثابتة لها، وإجراءاتها، واستشرافاً بمآلاتها المنبثقة عنها.

وذلك من خلال النقاط الآتية:

- مفهوم التدريس واستراتيجياته.
- التعليم الإلكتروني والتعليم المدمج في ظل جائحة كورونا.
- إستراتيجية تدريس علوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا بالجامعة الجزائرية.

أولاً: مفهوم التدريس واستراتيجياته:

عرّفه ستيفن كوري بأنّه "عملية متعمدة لتشكيل بيئة الفرد بصورة تمكّنه من أن يتعلم القيام بسلوك محدد أو الاشتراك في سلوك معين وذلك تحت شروط محدّدة أو كاستجابة لظروف محدّدة" (تمام إسماعيل ، ص 102). أي أنه يهدف إلى تقويم وتعديل سلوك المتعلم، ولذلك يجب أن يتوافر على منهجية وضوابط علمية تمكن من بلوغ الهدف المنشود منه. وذلك وفق إستراتيجية تسعى للإجابة على الأسئلة الآتية: ماذا يجب أن ندرس؟ وكيف ندرس؟ وما الأهداف المتوخاة من هذا التدريس؟

1. تعريف إستراتيجيات التعلم: هي الأنماط السلوكية وعمليات التفكير التي يستخدمها المتعلمون وتؤثر فيما تعلموه، بما في ذلك الذاكرة والعمليات الميتامعرفية. وهذا فيما يتعلق بالمتعلم أما بالفعل التعليمي فإن له مجموعة من الإستراتيجيات المتبعة لأجل توصيل المعلومة أو تغيير السلوك بطريقة ناجعة أهمها إستراتيجية الحوار والمناقشة وإستراتيجية العصف الذهني.

2. إستراتيجية الحوار والمناقشة: هي سلسلة من الإجراءات التعليمية التعليمية التي يقوم بها الطلاب بتخطيط وتنظيم وتيسير من قبل المعلم لتحقيق أهداف تعليمية تغطي كل مستويات نتائج التعلم الرئيسية، المعرفية والأدائية والوجدانية" (عبد العظيم صبري ، 2015، ص 38) ولعل أهم ميزة من مزاياها أنها تشرك المتعلم في بناء المعرفة ونقدها قبل التسليم بها.

3. إستراتيجية العصف الذهني: هي " واحدة من الإستراتيجيات التي تشجع على التفكير الإبداعي وتساعد على إطلاق الطاقات الكامنة عند المتعلمين في جو من الحرية والأمان، وتسمح بظهور كل الآراء والأفكار حيث يكون المتعلم في ذروة التفاعل مع الموقف". تهدف هذه الإستراتيجية إلى ما يلي:

-كسر الجمود باقتراح بدائل وحلول للمشكلة المقترحة.

-إثراء النقاش بأفكار جديدة ومتعددة عن طريق توظيف العقل.

-لفت الانتباه والتركيز والإخلاء التام للذهن لأجل إيجاد الحلول.

-الإبداع في إيجاد الحلول للمشكلة المطروقة.

والحديث عن إستراتيجيات التعلم لا يمكن حصره في هذين النوعين فله أنواع أخرى بحسب التقديرات والظروف الملائمة والمناسبة للعملية التعليمية، وأحيانا حسب الظروف الخارجية الطارئة التي تفرض على سياسات الدول اتباع مناهج وبدائل لمسيرة الوضع الراهن، داخل منظومتها التعليمية كما هو الحال مع الظرف الطارئ الذي أصاب العالم بحالة ذهول واضطراب، وأحيانا بارتجال في القرارات من أجل وضع حلول بغية احتواء الأزمة وأقصد به الظرف الصحي المسّى بجائحة كورونا.

ثانيا: إستراتيجية التعليم في ظل جائحة كورونا:

إنّ ظهور فيروس كورونا عام 2019م، في دولة الصين وانتشاره بسرعة هائلة في أرجاء المعمورة أحدث خلطا رهيبا في موازين السياسات العامة للدول في شتى المجالات وليس الجانب التعليمي بمنأى عن ذلك، إذ عرفت أغلب المدارس والجامعات في العالم انقطاعا مفاجئا خاصة بعد ارتفاع وتزايد عدد المصابين به، وارتفاع مؤشر ضحاياه شيئا فشيئا، فقد أثبتت الدراسات الإحصائية العالمية أن عدد الأطفال الذين فقدوا صفوفهم التعليمية منذ بدء الجائحة يقدر بـ 1.2 بليون طفل في 168 دولة. (دلين ، 2020، ص47) وهو ما جعل خبراء التعليم يتجهون إلى استراتيجية مكافئة تحتوي الوضع الراهن بعيدا عن التعليم التقليدي الحضوري المحظور، فكان التفكير والتوجه نحو التعليم عن بعد أو التعليم الإلكتروني حالا لا مناص منه.

فالواجب يقتضي على الدول أن تضمن تعليم أبنائها وعدم الإلقاء بهم في غياهب الجهل بسبب الوباء فيكون قد اجتمع على الناشئة في أوطانها الوباء؛ وباء الجهل ووباء جائحة كورونا، كما حدث في دولة تونس عامي (1053 هـ. 1100 هـ. 1643 م. 1689 م) حين حلّ بها وباء جارف استأصل بقية أهل العلم وانقطعت سبله حتى قال الوزير السراج أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي في تاريخه " الحُلل السّندسية في الأخبار التونسية ": "إنّ العلم انقطع من تونس بهذين الوباءين على أنّ إهمال الدولة وتحكّم الجهلة الموجهين من البلاد التركية قد كان أوبأ له من هذين الوبائين وأن الاستبداد بالسلطة وإهمال الدولة بجانب العلم وشدة المظالم التي علّت العقول كلها كانت أسبابا لموت مراتب العلم". (بن عاشور، 2015، ص84)

غير أن هذه الحادثة لا يُعقل تكرارها في عصرنا هذا، حيث التّقدّم التكنولوجي وسرعة المواصلات، والرقى الحضاري والعلمي، بل جعل أغلب سياسات الدول تجابه هذا الوباء وفق إستراتيجيات لا تقل أهمية عن تلك التي وضعتها في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأمني لإيمانها بأنها أكثر من ضرورة في سبيل ترقية الأمم، وأن إهمال هذا المجال مؤذن بانهيار المجالات الأخرى من حيث لا يُشعر إن كان جاهلا بأهميته، ولذلك قال رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني عام 1904 م : "يجب نزع الحوايل السياسية التي تقف في سبيل العلم، ذلك السبب الحقيقي الذي يضعف العلم...، وجمهور ساستنا قلما يعلمون شيئا عن مقدار ما للعلم من الشّأن في ترقية الأمة

ويحسبون أن لا شأن لغير الأمور السياسية والمالية. على أن الحكومة يجب عليها أن تنظم جيوشا للسلم كما تنظم جيوشا للحرب، والمدارس لها ضرورة كالבواج لا بد أن ينفق عليها سواء." (بن عاشور، 2015، ص108)

ثالثاً: صناعة التعليم في ظل جائحة كورونا (من التعليم الإلكتروني إلى التعليم المدمج).

توجّهت أغلب الدول في العالم إلى اعتماد نظام التعليم الإلكتروني أو المدمج بغية احتواء الظرف الطارئ الذي تعذّر فيه التعليم التقليدي، وشمل ذلك جميع الأطوار التعليمية لا سيما التعليم العالي فما المقصود بالتعليم الإلكتروني والتعليم المدمج؟ وما أهم مزاياه والعوائق التي تحول دون تحقيقه؟ وإلى أي مدى أثبت نجاحه؟

1. تعريف التعليم الإلكتروني: هو طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعدّدة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الإنترنت سواء كان عن بعد أو في الفصل الدراسي. المهم أن المقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقلّ جهد وأكبر فائدة. (فرج، 2005، ص19)

2. دوافع استخدام التعليم الإلكتروني:

.زيادة أعداد المتعلّمين بشكل حادّ، مما يتعدّد على المؤسسات الجامعية احتوائهم جميعاً على أرض الواقع.

.اعتبار هذا التعليم رافداً كبيراً للتعليم المعتاد (التقليدي) ويمكن دمجه معه ليكون داعماً له.
.مناسبة هذا النوع من التعليم للفئة العمرية المتقدّمة في السن؛ نظراً لارتباطاتهم الوظيفية التي تقف حائلاً دون حضورهم المباشر لصفوف الدراسة.
.مناسبته للبيئة المسلمة خاصة المرأة وربّات البيوت اللواتي لديهنّ ارتباطات أسرية، لتدارك ما فاتهن.
(فرج، 2005، ص21)

.التطور السريع في مجال التكنولوجيا والاتصالات خاصة مع ظهور الهواتف الذكية، حيث إنّ أكثر من نصف سكان العالم استخدموا المحمول بداية من 2010م في مقابل 40 % في مطلع 2008م. (عبد العظيم صبري، 2015، 144-146)

3. تعريف التعليم المدمج:

أخذ التعليم المدمج عدة مسميات كونه يقوم على عملية دمج لوسائل وطرائق التعليم وإستراتيجياته مع الوسائل التكنولوجية المتنوعة فأطلق عليه التعليم الخليط والتعليم المزيج والتعليم التكاملي والتعليم الهجين (صغير، 2022، ص646)، ويقصد به "تلك الطريقة التي تهدف إلى مساعدة المتعلم على تحقيق مخرجات التعليم المستهدفة وذلك من خلال الدمج بين أشكال التعليم التقليدية والتعليم الإلكتروني بأنماطه داخل قاعات الدراسة وخارجها". (إسماعيل محمد، 2010، ص12)

4. مزايا التعليم المدمج:

. التحسين من فاعلية التعليم من خلال توفير تناغم وانسجام أكثر بين متطلبات المتعلم والبرنامج التعليمي المقدم.

.يخفّض نفقات التعليم بشكل هائل مقارنة بالتعليم الإلكتروني وحده.
.يمكن المتعلّمين من الحصول على متعة التعامل مع معلّمهم وزملائهم وجهاً لوجه، ومن ثمّ تعزّز الجوانب الإنسانية والعلاقات الاجتماعية بين المتعلّمين فيما بينهم وبين المتعلّمين والمعلم.

. يتضمن التعليم المدمج خيارات متعددة ومرنة تناسب كافة الطلاب باختلاف مستوياتهم وقدراتهم من خلال الحصول على المعلومات والإجابة عن التساؤلات والاستفسارات. (مجدي يونس، 2017، ص 90)

5. ضوابط التعليم الإلكتروني والتعليم المدمج:

- التأكد من مهارات المعلمين والمتعلمين في استخدام تكنولوجيا التعليم الإلكتروني المتضمنة في بيئة التعليم المدمج.
- التخطيط الجيد لتوظيف تكنولوجيا التعليم الإلكتروني في بيئة التعليم المدمج وتحديد وظيفة كل أداة في البرنامج وكيفية استخدامها من قبل المعلمين والمتعلمين بدقة.
- التأكد من توافر الأجهزة والمراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في البيئة التعليمية سواء لدى المتعلمين أم في المؤسسة التعليمية حتى لا تمثل معوقاً لحدوث التعلم. (مجدي يونس، 2017، ص 91)
- صياغة معايير علمية لقياس جودة التعليم الإلكتروني كما في التعليم التقليدي لأنه مهما يكن التعليم الإلكتروني متطوراً فإنه لا يصل إلى مستوى التعليم التقليدي في كثير من الجوانب الاجتماعية والنفسية، فلا يمكن مقارنة وجود الطالب والأستاذ وجها لوجه في قاعة واحدة يتلقى الطالب المعلومة مباشرة بغيرها من الوسائط المستعاضة عن ذلك. (دلين، 2020، ص 53)

6. تجارب عالمية وعربية في صناعة التعليم الإلكتروني والتعليم المدمج:

- في دراسة للدكتور محمد الشمري باتباع المنهج التجريبي على عينة قدرها 64 طالبا بالسعودية توصل في النتائج إلى أن المجموعة التي درست بالتعليم المدمج كانت ذات نتائج إيجابية.
- في تجربة للباحثين حسني عوض وإياد أبو بكر قاما فيها بتطبيق هذا النمط من التعليم في جامعة القدس المفتوحة وقد أثبتت التجربة تحسن أداء الطلاب وزيادة معرفتهم للمقرر الدراسي وأن هذه التقنية تخفض تكاليف السفر والانتقال بنسبة 85 %.
- كما توجد تجارب عالمية كتجربة اليابان وسنغافورة وأستراليا أثبتت نجاحة هذا النمط من التعليم، وأخرى عربية عرفت نجاحا في استخدامه مثل تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة وتجربة دولة قطر وتجربة المملكة العربية السعودية، حيث تحصلت دولة قطر على المستوى الرابع عالميا بتاريخ: 15 / 02 / 2016م. كما أن هناك دراسة أثبتت أن المملكة العربية السعودية قد بلغ حجم الإنفاق فيها على تكنولوجيا التعليم التصنيف الأعلى عالميا. (مجدي يونس، 2017، ص 92-93)

7. معوقات التعليم الإلكتروني والتعليم المدمج:

- ضعف البنية التحتية الأساسية لتكنولوجيا المعلومات في الوطن العربي.
- ضعف الإقبال على القراءة والتعلم في الوطن العربي.
- ضعف الإمكانيات المادية الموجهة لهذا النوع ولذلك كان أغلب الدول السابقة التي عرفت تطورا ونجاحا في هذا النوع من التعليم هي دول عربية غنية وقوية اقتصاديا.
- العنصر البشري وعزوف البعض عن مواكبة التقنية حيث إن 30 % يمانعون دخول الإنترنت في الدراسة.

- التخوف من الجوانب السلبية للتكنولوجيا الحديثة. (مجدي يونس، 2017، ص 121)

رابعا: إستراتيجية تدريس علوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا بالجامعة الجزائرية.

بعد ظهور جائحة كورونا في مارس 2020م، وجدت الحكومة الجزائرية نفسها في مواجهة هذا الفيروس وجها لوجه، فكان من قراراتها التي اتخذتها من أجل احتواء الأزمة، التوقف الفوري عن التعليم الحضوري واستبدال التعليم عن بعد به، باستخدام التقنيات والوسائط التكنولوجية الحديثة، ولكن هذه التجربة كانت

حديثاً ومرتبلة بعض الشيء نظراً للطرف الطارئ الذي لم يكن في الحسبان، وغياب الثقافة والوعي بهذا الأسلوب من التعليم، ومدى إسهامه في رفع المستوى العلمي للطلاب، رغم ما قامت به الوزارة من تسخير للمواقع والمنصات الافتراضية التي كانت تبث الدروس والمحاضرات من خلالها، ضماناً لمواصلة التعليم وحقوق الطالب. (بوسكرة و عبد السلام ، 2020 ، ص94)

وفي 21 جانفي 2020م، صدر القرار رقم 055 الذي يحدد الأحكام الاستثنائية المرخص بها في مجال التنظيم والتسيير البيداغوجيين، في ظل فترة الكوفيد 19، وجاء في الفصل الأول ضمن المادة الثانية: "التعليم عن بعد أو عبر الخط أسلوب بيداغوجي ضمن منظومة التكوين العالي . تم بعنوان السنة الجامعية 2020 . 2021م اعتماد نمط التعليم الهجين أو المختلط الذي يجمع بين نمطي التعليم عن بعد والتعليم الحضوري". وجاء في المادة الثالثة : أن حضور الطلبة لمختلف الأنشطة التعليمية الحضورية ليس إجبارياً باستثناء بعض الأعمال التطبيقية وأعمال الورشات أو التبرصات التي صدر بشأنها رأي مخالف من اللجنة البيداغوجية. على أن يطبق بشكل استثنائي هذا القرار بعنوان السنة الجامعية 2020 . 2021م . في إطار إجراءات الوقاية ضد تفشي جائحة كوفيد 19.

وفي 11 أوت 2021م صدر القرار الوزاري رقم 915 المتعلق بالتنظيم والتسيير البيداغوجيين للسنة الجامعية 2021 2022م، والذي أبقى على نفس نمط التعليم الهجين بالمضامين الواردة في القرار السالف مع إجبارية الحضور للطلبة في الأعمال الموجهة والأعمال التطبيقية وأعمال الورشات مع احترام إجراءات البروتوكول الصحي والبيداغوجي المقرر لذلك.

خامساً: واقع تدريس علوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا:

لم يخرج نمط التدريس لعلوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا عن السياسة المقررة من طرف الوزارة، فقد تم تدريس الوحدات الأساسية وفق نمط التعليم الهجين، مع التقليل في المدة الزمنية إلى ساعة واحدة. ولكن بالنظر لخصوصية بعض العلوم كعلم النحو وعلم الصرف والبلاغة العربية وعلم العروض، فإن هذه الإستراتيجية المتبعة لا يمكنها أن تحقق كفاءة الطالب ضمن هذه العلوم. خاصة طالب السنة الأولى الذي هو في أمس الحاجة إلى إقامة أرضية صلبة في مثل هذه الفنون، حتى يتسنى له فهم المضامين المتعلقة بها في السنوات اللاحقة .

وإذا كان الأستاذ يجد حرجاً في إتمام العناصر الرئيسية في الفن الواحد فمن المستحيل أن يجد وقتاً لإجراء التمارين والتطبيقات التي تثبت الفهم وتدعمه، وإهمالها يعدّ من أكبر أسباب ضعف التعليم كما نص على ذلك الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في أثناء تشخيصه لسبب ضعف التعليم في الوطن العربي، لا سيما ما يتعلق بعلم العربية إذ يقول : " وهذا التهاون بالتمارين من أسباب القصور المشاهد على غالب التلامذة ، فقد يقرأ التلميذ الأجزئية مراراً وهو لا يستطيع إعراب مثال لم يذكره الشارح " (بن عاشور، 2015، ص140)

وإذا كان نمط التعليم الهجين يفرض على طالب العربية أن يطلع على المادة التعليمية في المنصة الإلكترونية نظرياً، ثم يلزمه بالحضور أمام الأستاذ في مدة زمنية محدودة لحل ما استغلّق فيها، وشرح غوامضها، فإنه لا يجد فرصة لروز مدى استيعابه للمادة من خلال التطبيقات والتمارين المتعلقة بها، هذا إذا أفلح الأستاذ في شرح وبسط المادة التعليمية في تلك المدة الوجيزة؛ أي أنه في صراع مع اكتساب المعلومة من وجهها الصحيح، وتطبيقها وتثبيت فهمها من جهة أخرى.

وقد يقول قائل إنه بإمكانه استغلال التمارين والتطبيقات الموجودة أو المرفقة في المنصة مع المحاضرة، من أجل إنجازها قبل اللقاء الفعلي الحضوري بالأستاذ، ولكن من أين له أن ينجز تمارين لم يستوعبها نظرياً بعد،

ولنفترض أنه استوعبها نظريًا فإنه وإن أنجزها قبل اللقاء الحضورى فإن الوقت الخاص بمناقشتها منعدم أو قليل، لاغتنامه في فهم مضامين جديدة وشرحها والتعليق عليها.

وفي هذا السياق يقول الإمام محمد الطاهر ابن عاشور إننا نرى " في كثير من بلاد الإسلام علومًا تدرس وكتبًا تكتب، ولا نرى فيمن نحدث أو نجالس فصيح لسان أو بليغ بيان، مع احتياجنا إلى إحياء اللغة العربية لنفي الحاجات المدنية الواسعة، لأن سعة التمدن تقتضي سعة اللغة، بالضرورة." (بن عاشور، 2015، ص116)

سادسًا: الخطاب التعليمي في التعليم المدمج (طالب العربية وأستاذه أية علاقة):

إن العلاقة بين المعلم والمتعلم في تلقي الخطاب التعليمي ضرورية من أجل نجاح العملية التعليمية؛ لا سيما في علوم اللغة العربية، فاستيعاض المشاهدة والمناقشة والحوار التي تعدّ من إستراتيجيات التدريس الفعال، بمحاضرات مسجلة أو دروس مبرمجة يقلّص من جدوى هذا الخطاب التعليمي، لأن المعرفة الضمنية المشتركة بين عناصر العملية التعليمية التعلمية تكون منعدمة، فلا يستطيع الأستاذ أن يكيّف خطابه بسطًا أو اختصارًا مثلاً حسب حاجات طلاب اللغة العربية، لأنه لم يخبر نفسياتهم عن طريق النقاش والحوار المباشر، ولذلك نجد ابن جني (392هـ) وهو يشرح كلام أبي عثمان المازني في التصريف (247هـ) يحاول أن يسدّ بعض الثغرات التي يراها موجودة في لغة الخطاب التعليمي لديه، لأنه كان يخاطب بها أقوامًا يثق في أفهامهم قال: " فهذا تفصيل ما أجمله أبو عثمان في هذا الفصل وقد تعجرف فيه ولكنّه كان يخاطب به من يثق بفهمه ومعرفته." (ابن جني، 2014، ص148)

فكلما كانت علاقة طالب العربية بأستاذه علاقة وطيدة، من حيث الالتزام الحضورى والإثراء في المناقشة، كانت عملية تدريس علوم اللغة العربية أيسر للفهم والتلقي، وأما إذا كانت هذه العلاقة مضطربة يطغى عليها النفور والخمول، فإن عملية التواصل الديدكيتيكي (مزيان و عمرون، 2022، ص987) ستكون ضامرة، ومن ثم يتعذر تحقيق النتائج المرجوة منها.

سابعًا: أهلية طالب العربية وكفاءة أستاذه في سياق التعليم المدمج:

من المفارقات العجيبة أن نتحدث عن نجاعة التعليم المدمج في تدريس علوم اللغة العربية من عدمها؛ ولما نسبر ونخبر أهلية أهم طرفين في هذه العملية التعليمية، وهما طالب العربية وأستاذها، فهل استطاعنا أن نعدّ طالب العربية بالعدة المنهجية والقوامة المعرفية والتقنية التي تؤهله للانخراط في هذا النمط والاستفادة منه؟ وهل أستاذ العربية المخوّل له تدريس علومها على قدر كبير من الكفاءة التي تمكنه من استخدام الآليات والوسائل وعرض المضامين في أسلوب يناسب طالب العربية وفق هذا النمط الهجين.

خاتمة:

إنّه من السابق لأوانه أن نجيب على هذا السؤال وتجربة الجزائر في تبني هذا النمط من التعليم فجّة لم يشتدّ عودها بعد، ولكن من خلال ما هو ملموس في الواقع يمكن الإفضاء إلى التوصيات والاقتراحات الآتية استشرافًا بمآل مشرف في ميدان تدريس علوم اللغة العربية في ظل جائحة كورونا:

01. إن طالب العربية بحاجة إلى وعي وثقافة كبيرين بأهمية هذا النمط الهجين من التعليم، والتسلّح بعزيمة فولاذية لاقتحام عقبة الظرف الراهن بمزيد من التعبئة النفسية، ليكون إقدامه على تعلّم علوم العربية عن قناعة وبدافع شخصي يؤهله للاطلاع على ما يقدمه له أستاذه في المنصة الإلكترونية وداخل القسم، بنية وعزم صادقين، فيكون التزامه بالحضور والإصغاء للمحاضرات والتفاعل معها إلكترونياً لا يختلف عنه حضوريا (وردة، 2022، ص29)، متمثلاً قول الشاعر:

إنَّ بعض القول فنّ ... فاجعل الإصغاء فنّا.

فطالب العلم الحقيقي صاحب الهمة العالية لا يحتاج من يوجّهه أو يذكره بما له وما عليه، فقد ذكر الإمام محمد الطاهر بن عاشور في ذلك حديثاً عجيباً؛ جاء فيه " أن تقدّم العلوم بإفريقية والقيروان كان من تلقاء طلبة العلم لولعهم به، ولم يكن من همة الأمراء في شيء كما كان الأمر بالمشرق والأندلس".

02. إنَّ الحديث عن أهلية طالب العربية يسوقنا إلى الوقوف على مدى كفاءة أستاذه في ظل هذا النمط الهجين، وهل تلقى تكويننا خاصاً في هذا النظام خاصّة ما تعلّق منه بالجانب التقني، وتوفير الظروف والبنى التحتية التي تيسر عليه عمله، لأنّ صناعة التعليم تقتضي إعداد المعلم إعداداً جيّداً قبل الإلقاء به في خضم العملية التعليمية، قال محمد الطاهر بن عاشور: " فمن الواجب ألا ينتخب للتعليم إلا من تمرّس به وعرف مراتب الأفكار ليعلم التلامذة كيف ينتبهون إلى دروسهم ويفهمونها بدلا من الضجر الذي يصيبهم الآن فيما يقلل النبوغ فيهم، ولذلك يجب أن تدرّس صناعة التعليم قبل انتصاب المدرّس للتدريس"

03. تعزيز دور الأستاذ في العملية التعليمية في ظل هذه الجائحة، وذلك يستوجب على أستاذ العربية أن يقدم المادة التعليمية بأسهل طريقة للمتعلم وجعلها في المتناول، إذا سلّمنا بإحراز كفاءته في فنّه الذي يدرّسه، كأن يستخدم وسائط التواصل الاجتماعي والمدوّنة الإلكترونية واعتماد الملاحظات والمخططات التوضيحية والإحالة على المحاضرات المسجلة في المواقع والمنتديات صوتياً أو كتابياً، وإقحام تكنولوجيا الهواتف الذكية باستغلال التطبيقات المتاحة للتواصل والبرمجيات المتطورة، وإضفاء عنصر المتعة والإثارة فيما ينتجه من مواد علمية موجّهة للطلبة، حتى لا يجد ثغراً من ثغور التقنية الحديثة إلا اقتحمه وسدّ طريقه على طالب العلم بما يعود عليه بالفائدة، بدل أن يستغله في ما لا طائل منه. وقديماً قال ابن جنيّ مشيراً إلى مزية الأستاذ ودوره في تذليل المعرفة العلميّة وأنه لا يستعاض عنه بالكتب أو الوسائط الأخرى لوحدها: "وقد لوح أبو عثمان إلى هذا المعنى ...، ولكنه لم يلخصه تلخيص أبي علي ولمثل هذه المواضع يحتاج. مع الكتب. إلى الأستاذين"

04. ضرورة التركيز في الوحدات المبرمجة في الطور الأول ليسانوس. مادامت المدة الزمنية محدودة ومحتشمة. على علوم الآلة التي لا يصلح شأن طالب العربية فيما بعد إلا بصلاحيها، بدلا من أن نصدّع رأسه بالمقولات الغربية و النظريات النقدية والأطروحات اللسانية الحديثة وأجرائها ولما تستقرّ رجليه في الركاب بعد، لا سيما لدى طالب السنة الأولى ليسانوس؛ وهو ما عابه صاحب كتاب: "تكوين الملكة اللغوية" على المناهج الجامعية العربيّة، فقال إنّ "أهل الجامعة يتحدثون عن اللغة أكثر مما يتعلّمونها." (المراكشي، 2022، ص72)

عظفا على ما تقدّم نقترح أن يكون البرنامج مقتصرًا على تدريس علم النحو وعلم الصرف وعلم الإملاء وعلم الإنشاء وعلم البلاغة، والمنتخب من المنثور والمنظوم من كلام العرب، فإذا ترسّخت قدمه في هذه الفنون وقدر على استحضار المهم منها وما له أثر عملي في تكوين ملكته اللغوية والإنشائية، استطعن أن ننقل به إلى مرحلة التفكير الناقد القائم على الجمع والتحليل والاستنتاج. أما أن نزاحم ونضيق على الأهم بالمهم والأقل أهمية فهذا فيه نظر عند أولى التّظّر.

الإحالات والمراجع:

- ابن جنيّ. (2014). المنصف. (أحمد عطا محمد عبد القادر، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية، ص148.
- إسماعيل محمد، إ. (2010). التعليم المدمج: وحدة التعليم الإلكتروني. مجلة التعليم الإلكتروني، ص12.
- البشير عصام المراكشي. (2022). تكوين الملكة اللغوية. بيروت: نماء للبحوث والدراسات، ص72.
- تمام إسماعيل تمام. (2008). آفاق جديدة في تطوير مناهج التعليم في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين. المنيا: دار-الهدى للنشر والتوزيع، ص102.
- سردار النوري دلين. (2020). تجارب الجامعات العالمية في التعليم الإلكتروني. سكولار لدراسات اللغة والأدب والنقد، ص74.
- عبد العظيم صبري عبد العظيم. (2015). استراتيجيات طرق التدريس العامة والإلكترونية. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، ص ص 144-146.

- عبد اللطيف بن حسين فرج. (2005). طرق التدريس في القرن الواحد والعشرين. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص19.
- محمد الطاهر بن عاشور. (2015). أليس الصبح يقرب. الجزائر: دار السلام، ص140.
- هاشم مجدي يونس. (2017). ، التعليم الإلكتروني. مكة: دار زهور للمعرفة والبركة، ص ص 92-97.
- صليحة صغير . (05, 04, 2022). التعليم الهجين المطبق بالجامعات الجزائرية خلال جائحة كورونا والصعوبات التي تواجه الطلبة من تطبيق هذا النمط من التعليم دراسة ميدانية بجامعة قسنطينة2. مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ص648.
- عمر بوسكرة ، و سليمة عبد السلام . (جانفي, 2020). واقع التعليم الجامعي الجزائري في ظل جائحة كورونا. مجلة الراصد للدراسات والعلوم الاجتماعية، ص94.
- نجية مزيان، و حنان عمرون. (2022). معوقات الاتصال البيداغوجي في التعليم عن بعد خلال أزمة كورونا دراسة ميدانية على عينة من أساتذة علوم الإعلام والاتصال في الجامعة الجزائرية. مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ص987.
- وردة , خ. (2022). التعليم الجامعي عن بعد في مواجهة جائحة كورونا-جامعة سطيف2 نموذجا. مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ص29.